مجلةمتون (Moutoune) / جد. مولايالطاهرسعيدة / المجلد 14 ع 02 / 14 /05 / 2021
EISSN 1112-8518 : ISNN : 2600-6200

عنحمية الفيلسوف:
كيف كان يأكل نيتشه ؟

محمد صلاح بوشتله	فلسفة	جامعة القاضي عياض مراكش

الإرسال: 2021/04/10 **القبول**: 2021/04/18 **النشر**: 2021/05/14

ملخص:

الكتابة والقراءة كلاهما يستلزمان معدة جيدة، واعتلال المعدة يسبب اعتلالات أخرى تشوه مُنتجات الكاتب من نصوص غير متزنة وغير عميقة بالمرة، لذا كان نيتشه يفتخر بمعدته: «معدتي: أهي حقّا معدة صقر؟ ذلك أنها تُفضل لحم الخرفان على كل أكل (...) مغذى بأطعمة بريئة، وبما قلّ، متأهبًا نافذ الصّبر أرنو إلى الطّيران، إلى الفرار ذلك هو طبعي؛ فكيف لا يكون لي في هذا شيء من طبع الطّيور إذًا». المعدة أو بيت الدّاء كما يشترك في تسميتها الأطباء منذ جالينيوس ومعه الصّوفية على مرّ التّاريخ، ويُوافقهم في ذلك **الإنجيل**، لا ينسحب داؤها على الجسد المرتبط بها مباشرة وإنما على النّصوص الصّادرة عنه. إن المعدة هي محبرة الفيلسوف ومصدر إلهامه الحقيقي بحسب نيتشه، ويصل بخطورتها إلى درجة أن يجعل منها نيتشه هي سبب انتكاسة العقل الجرماني. في هذه الورقة سنحاول الوقوف عند موقف نيتشه من الطّعام، وتأثير الأخير على الكتابة.

على سبيل التقديم:

«عليك أن تأكل ليس بفمك فقط،بل بعقلك كذلك،حتى لا تقودك شراهة فمك إلى الهلاك.»**نيتشه**

كل فلسفة عند نيتشه تعبير عن حياة صاحبها، ورشح عن تجاربه، ونِتاج لقائمة مأكولاته، وقد تكون قائمة لمجموع علله وأمراضه المتفاقمة، وكذا أسفاره وأمكنته المفضلة التي يداوم على زيارتها، وتواريخه التي لا ينسى كتابتها في نهاية أي مكتوب له، وكأنها جميعًا مَن تُوقّع أعماله، أي شريكته في الإبداع والتّفتق، فكما أن كل فلسفة هي تعبير صارخ عن حالات نيتشه، وحالات الفلاسفة عمومًا البسيكوباتية المرضية وانفلاتاتهم، وعن خرجات مجونهم المتقدة، منذ ديوجين إلى زمننا هذا، ولا ننسى، هنا، أن أولى محاضرات نيتشه الجامعية كانت لاستكناه معالم شخصية هوميروس وفضحها، إنه خبير نفس بشري كما يحلو له أن يُقدّم نفسه، يحمل مصباح ديوجين للبحث في ثَنيات سيرة كل فيلسوف وطياتها، ليعطي لمحات ولُمعًا عن شخصية الخبير النفسي ذاته السّيد ف. نيتشه.

لأن الكتابة، كما الفلسفة، رشح تجارب، ستأخذ كثير من شذرات أعماله طابع يوميات، لا نصوص متصلة ومستمرة، يومياته هو، ومعها حتى يوميات فلاسفة العصور الأكثر قِدمًا، يكتبها بالنّيابة عنهم، فيبحث في علاقة فلسفة سقراط بزوجته، ويصف جولاته اليومية، ويهمز ويلمز في رجولة سقراط وخبايا بيته، ولا يجد حرجًا في الحديث عن بطن أفلاطون، حاشرًا أنفه في خبايا السّيرة وأسرارها، ثم ينتقل ليقدّم ملفات فيما يخصّ علاقة الكتابة والتّفكير بمؤخرة فلوبير مثلًا، وبعلاقة الفلسفة السّياسية لدى أفلاطون ببطنه، وفي علاقة الأبيقوريين بالطّعام. وعن هذا الأخير سيكون مدار كلامنا، وبالضّبط علاقة نيتشه بقائمة مأكولاته وبمعدته، وفي علاقة الأخيرَيْن بطريقة الكتابة وتأثيرهما الخطير على نيتشه وعلى نوعية مكتوباته.

المعدة أو بيت الدّاء كما يشترك في تسميتها الأطباء منذ جالينيوس والصّوفية على مر التّاريخ، ويُوافقهم في ذلك **الإنجيل**،ولو أنه يرى أنه ليس ما يدخل الفم هو ما ينجس البشر، وإنما ما يخرج منه هو ما ينجسهم. ومعهم جميعًا يمكن ضمُّ عدد من الفلاسفة، حيث تبقى المعدة والأمعاء عاملًا خطيرًا ومُهمًّا في العملية الإبداعية، وفي نشاطها، لأنها قد تصير هي محبرة الفيلسوف ومصدر إلهامه الحقيقي، وليست فقط سببًا مباشرًا في قوام جسده وتماسكه أو علة انحلاله، وبالتّالي فهي من تُفاقم من انحطاط الكتابة وتَماوُتها وتردّيها نحو عوالم الرّكاكة والرّثاثة إن أسأنا التّفريط فيما نرمي به إليها من أنواع الخضار واللّحوم. فأن يرتكب شعب عظيمٌ خطأ جسيمًا في التّغذية يعني أنه يؤسس دينًا جديدًا بعاهات جسيمة، فانتشار البوذية لدى نيتشه، وليس

ظهورها، إنما «يُعزَى بقدر كبير إلى إفراط الهندوس في استهلاك الأرز والاقتصار عليه تقريبًا»[1]، الشّيء الذي جعل نيتشه يستفهم في غرابة «هل نعرف الآثار المعنوية للأطعمة؟ هل توجد فلسفة للتغذية؟»[2].

إن الجسد السّليم، الذي يتكلم بكل إخلاصٍ وبكل صفاء، هو كالدّعامة المربعة من الرّأس حتى القدم، وليس بيانه إلا إفصاحًا عن معنى الأرض. فما الجسد إلا مجموعة آلات مؤتلفة للعقل[3]، ولا يمكن لهذا الجسد السّليم أن يكون سليمًا إلا بطعام في المستوى المطلوب، طعامًا صحيا، يليق بعقل متحرك ومناور، وبإعداد أقدام صلبة وكَفوءة، بإمكانها حمل الكائن وجعله يتسلق بسهولة ويرقص بتناسق. المعدة أو الطّريق الملكي إلى قلب الرّجل، تبقى شيئًا يُعوّل عليه نيتشه، لأجل، لا فقط، صحّة جيدة، بل من أجل ذوق في الكتابة جيد وله مُكنة في اقتراح الأفكار الجيّدة والجديدة، لهذا ظل نيتشه فخورًا أيما فخر بمعدته، وبأسنانه، كما هو فخور بقدميه اللّتين لا تكفّان عن المشي، والركض بين سفوح الجبال والوعار والوهاد، فيقول: «معدتي: أهي حقا معدة صقر؟ ذلك أنها تفضل لحم الخرفان على كل أكل (...) مغذى بأطعمة بريئة، وبما قل، متأهبًا نافذ الصّبر أرنو إلى الطّيران، إلى الفرار ذلك هو طبعي؛ فكيف لا يكون لي في هذا شيء من طبع الطّيور إذا»[4].

1. موائد أهل الحكمة والفكر:

«أن يكون هؤلاء العلماء، فاترون!

أن تسقط الصّاعقة في غذائهمحتى يعتاد فمهم على تناول النار!»

نيتشه

إن الطّعام يظل مثله مثل الكتابة، فمثلما يهب الحياة للكاتب وهو حي، فإن الكتابة تهبه الحياة بعد صعوده مقطورة الموت، إنهما يهبانه معجزة الانبعاث من جديد، فالكتابة وإنشاء الكلام الجيد هي معيار يوم القيامة، بالنّسبة لأهل الشّعر والفكر، بحسب كاتب كبير هو المعري الذي كان له نظامه الغذائي الخاص، حيث يصير القول الجيد، في **رسالة الغفران**، وحده عِيارًا للتنعم بنِعَم الجنة، ويصير التعبير الحسن وعدًا بالسّلامة من جحيم الآخرة، ما دام الكلام واللّغة نعمتا

1- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ترجمة وتقديم: حسان بورقية، محمد الناجي، الدّار البيضاء: أفريقيا الشّرق، 1993، الشّذرة: 134، "المتشائمون باعتبارهم ضحايا"، ص. 136.

2- المصدر نفسه، الشّذرة: 7، "ملاحظات للمثابرين"، ص. 57.

3- المصدر نفسه، الشّذرة: 340، "سقراط محتضرا"، ص. 200.

4- فريديرك نيتشه، **هكذاتكلم زاردشت**، ترجمة: علي مصباح، دار الجمل، ص. 365.

الله لنا في الدّنيا فكان علينا استثمارها بشكل جيد. وليكون الثّواب بقدر الإجادة والتّمكن وطول ذات اليد فيها حبكة وقافية، لذا نجد في **رسالة الغفران** سؤالان يتكرران لدى المعري في رسالته: «لمن هذا الشّعر؟»، «ولمن هذا القصر؟»، فإن المثوبة بالحسنى هي بقدر إحكام اللّغة شعريًا، وفي هذا حفظٌ لأعظم هدية ونعمة من الإله إذ الكلمة زهرة الفم، وأعظم هدايا السّماء لبني البشر كما يؤكد هولدرلين.

حتى في اليوم الموعود، في جنة الخلد، وبالتحديد جنة أبي العلاء الذي رأى الأكل منقصة معيبة، وإحدى العورات التي يجب التستر حين إتيانها، فإنه شعراءه وأدباءه لا يلتئمون، في مخيلته ومعها في جنته، إلا على موائد المنادمة والأكل يتَنَشّدون غريب الأوزان مما سمح به المرزوقي وخليل أو ما خانوهما فيه في الدّار الباقية، أو ممّا نُظم في دار الأحزان، دون أن يكون همهم هو الكتب وحدها، ومطارحات الفكر، ولا أن يكون حلمهم الوحيد هو أن تكون الجنة على هيئة مكتبة كما اعتقد بورخيس، بل هي أيضًا مجال شهي بما لذ وطاب أيضًا. فهذا ابن القارح يصنع مأدبة في جنان الخلد يجمع فيها من أمكنه «من شعراء الخضرمة والإسلام والذين أصّلوا كلام العرب وجعلوه محفوظًا في الكتب وغيرهم ممن يتأنس بقليل الأدب»[5] ورغم انتماءاتهم الثّقافية الأكاديمية جدًا، خاصّة في تخصص الشّعر فإن ضيوف ابن القارح بالإضافة إلى افتتانهم بالأدب فإن فتنتهم بالطّعام لا يمكن مجاراتها «فلا تستقيم المأدبة عنده ولا تكون تامة كاملة، إلا إذا امتزج فيها الطّعام بالكلام امتزاج الجسد بالرّوح»[6] لهذا يلمّح المعري المحب للعدس والزّيت، والتّين، والدّبس[7] إلى أنّ الخلود يكون مملاّ، أو بالأحرى لا معنى له إن كان بلا «منادمة»[8] و«نزهة»[9]، حسب ما كان يسمّى «في الدّار الفانية» إنها أشياء بالغة الأهمية وذات جدوى حيث يصير الطّعام والشّراب أهم من الإيمان بعقيدة مثلا، ولنتذكر هنا الشّاعر الأعشى الذي كان سببًا في رجوعه عن الإيمان بالدّين الجديد إلى جانب صدُّ قريش له هو حبُّه للخمر أيضًا. وبأسلوب شهي يثير الجائع والشبعان على حد سواء، يصف لنا أبو العلاء طبيخ أهل النعيم وحفلاتهم فيقول: «فإذا اجتمع من الطّحن ما يظن أنه كاف للمأدبة، تفرّق خدمه من الولدان المخلّدين فجاؤوا بالعماريس. وهي الجداء. وضروب

5- أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، تحقيق: عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطئ، القاهرة: دار المعارف، ط. 9، 2009، ص. 104.

6- عبد الفتاح كيليطو، **بحبرخفي**، الدّار البيضاء: دار توبقال، 2018، الرّباط: مطبعة الأمنية، ص. 43.

7- طه حسين، **مع أبي العلاء في سجنه**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص. 56.

8- أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، ص. 169.

9- المصدر نفسه، ص. 175.

الطّير التي جرت العادة بأكلها : كأباجالعكارم، وجوازل الطّواويسوالسّمين من دجاج الرّحمة وفراريج الخلد، وسيقت البقر والغنم والإبل فارتفع رُغاء العكر ويُعار المعز وثؤاج الضّأن وصِياح الدّيكة لعيان المُدْية وإنَّما هو جدُّ مثل اللّعب، فلا إله إلاّ الله الذي ابتدع خلقه من غير رويّةٍ، وصوَّره بلا مثال. فإذا حصلت النّحوض فوق الأوفاض، والأوفاض مثل الأوضام بلغة طيىء؛ قال. زاد الله أمره من النَّفاذ: أحضروا من في الجنَّة من الطّهاة السّاكنين بـ «حلب» على ممرّ الأزمان، فتحضر جماعةٌ كثيرةٌ، فيأمرهم باتّخاذ الأطعمة، وتلك لذّةٌ يهبها الله، عزَّ سلطانه، بدليل قوله تعالى: «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنَّة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون» فإذا أتت الأطعمة، افترق غلمانه الّذين كأنَّهم اللّؤلؤ المكنون، لإحضار المدعوّين، فلا يتركون في الجنَّة شاعرًا إسلاميًا، ولا مخضرمًا، ولا عالمًا بشيءٍ من أصناف العلوم، ولا متأدَّبًا، إلاَّ أحضّروه. فيجتمع بَجْدٌ عظيمٌ والبجد: الخلق الكثير (...) فإذا قضوا الأرب من الطّعام، جاءت السّقاة بأصناف الأشربة، والمسمعات بالأصوات المطربة»[10].

ولنتذكر هنا بلوتارخ «Plutarque» تلميذ الفيلسوف الأفلاطوني أمونيوس ومؤلف كتاب: **تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق**والحضي عند مونتاني، في مناظراته التي تتزامن مع جلسات الشّراب في كتابه **حديث المائدة**، وبينما يأخذون الكلمة يرافقهم أخذ ألذ الطّعام، ولنتذكر هنا كذلك، سؤال نيتشه الاستنكاري: «وهل نحن في الحياة إلا جُلاس مائدة كبرى»[11]؛ جلاس مأدبة، لهذا لسنا في حاجة إلا جلسات تأمل طويلة، وتفكير ذهني شاق وإنما «يمكننا، ونحن على مائدة الطّعام، أن نحصل على معلومات تخص أدق أسرار الفنون»[12]، وهكذا كانت مائدة أبيقور الخالد المنسي عند الفلاسفة[13]. مائدة تتكون من «جنينة، بعض التّينات، بعض جبنات صغيرة، وثلاثة أصدقاء أو أربعة تلك كانت عند أبيقور مأدبة غنية»[14].

2. نيتشه وجدوى الحديث عن الطّعام:

«ياكريتون، إني مدين

10- **رسالة الغفران**، ص. 271.

11- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 14.

12- نيتشه، فريدريك (1844-1900)،**المسافر وظله**، ضمن **إنسان مفرط في إنسانيته: كتاب العقول الحرة**، أفريقيا الشّرق، 1998-2001، ج. 2، الشّذرة: 102، "الحاسة الوسيطة"، ص. 151.

13- فريديرك نيتشه، **المسافر وظله**، ضمن **إنسان مفرط في إنسانيته**، ج. 2، الشّذرة: 227، "أبقور الخالد"، ص. 178.

14- المصدر نفسه، الشّذرة: 192. "فيلسوف"، ج. 2، ص. 178.

بديك لإيسكيلاب»

سقراط

سؤال الأكل وهمّ سدّ الرّمق يبقى مطروحًا دومًا حتى في آخر لحظات علاقتنا بالحياة، وإقدامنا على عوالم الموت، وهنا يذكرنا نيتشه بنداء سقراط «ياكريتون، إني مدين بديك لإيسكيلاب» هاته «الكلمة الأخيرة» المضحكة والفظيعة كما يصفها نيتشه[15] تخفي لدى سقراط شهوة لإشباع معدته، قبل أن يغادر عالم أثينا نهائيًا، إلى جانب أن احتساء السّم قد يكون مضرًّا أكثر من الموت ذاته، إن هو أخذه على الرّيق مباشرة، إذ لربما، إن لم يكن منه بدّ، قد يُنصح باستهلاك الدّواء بعد وجبة كاملة، لا قبلها، إن كان أخذ السّم في هذا الوضع الأثيني المقرف دواءً، فسقراط لم يكن زاهدًا وفاضلًا كما يشاع، بل سيد الشّهوات المقززة كما يصفه نيتشه، كذلك الأمر بالنّسبة لأفلاطون الذي كان يملك غريزة سياسية في بطنه[16] كما يلمز نيتشه ويهمز، أفلاطون الذي كان يتخذ موقفا سياسيًا من الطّعام، فمرة يراه مُضِرًّا ومرة مقبولًا ومصيريًا، بحسب السّياق والضّرورات في **محاورة جورجياس** يعاتب عليه، بينما في **المأدبة** و**القوانين** يعطي نصائحًا مهمة عنه وفي **الجمهورية** نجده بجانب أكثر من موقف منه؛ تنحو كلها نحو التناقض.

لقد منح نيتشه الطّعام نفس التقدير الذي منحه للفن، والأدب، والكتابة، فمكتوباته تصير طعاما، وقراؤه يصيرون أكلة، وفلسفته تصير وصفة[17] طعام، ليظهر الطّعام كشيء أساسي في فلسفته، كما هي كل الوجبات لها اعتبار لديه ومنزلة خاصة، بما في ذلك وجبة العشاء الذي يزهد الحكماء فيها، وينصحون بغضّ الطّرف عنه، إذ يضع له نيتشه فصلًا كاملًا في عمله **هكذا تكلم زاردشت**، عَنونه بـ «العشاء السّري»، فلإلحاحية الطّعام والجوع سيقاطع الرّائي/ العرّاف كلمة زاردشتالمتفتقة بالحكمة أمام ضيوفه، ليعبّر لهم عما هو أهم من كلمة زاردشت تلك، عن جوعه ونهمه وشوقه إلى الطّعام، معاتبًا زارا وموجّها اللّوم له: «أفما دعوتني إلى تناول الطّعام أم هل ترى أن تُشبعنا كلامًا وخطبًا؟ لقد تحدثتم كثيرًا عن الموت بردًا وغرقًا واختناقًا، ولكن لم يذكر أحد منكم بَليَّتي أنا وهي **الخوف من الموت جوعًا**.»[18]، ليُردف العراف متوعدًا ومنبهًا إلى منزلة الطّعام من الصّحة البشرية والتّشافي الممكن: «ولم يذكر أحد منكم الخوف من الموت عطشًا، أما

15- فريدريش نيتشه، **غسق الأوثان، أو، كيف نتعاطى الفلسفة قرعًا بالمطرقة؟**، ترجمة: علي مصباح، بيروت: منشورات الجمل، ،2010 ص. 27.

16- فريديرك نيتشه، الفجر، ترجمة: محمد الناجي، الدّار البيضاء، أفريقيا الشّرق، 2013، الشّذرة: 496، ص. 250.

17- **العلم المرح**، ص. 27.

18- فريديرك نيتشه، **هكذا تكلم زاردشت**، : كتاب للكل ولا لأحد، ترجمة فيلكس فارس، طبعة هنداوي، ص. 319.

أنا فبالرغم من أنني سمعت تدفق الفصاحة كالنهر فإنني لا أرتوي منها بل أطلب خمرًا؛ لأن الخمر وحده يرتجل الصّحة ارتجالًا ويقضي على المرض بالشفاء العاجل»[19].

الشّبع أولا، ثم تجيء الحكمة ويأتي معها التّحذلق أيضًا، ويأتي الفهم الجيد الذي ما هو إلا مرآة للأطعمة ذات الجودة، لذا ينصح زاردشت تابعه بأن يكون مرحًا وأريحيا مثله، يحتفظ بعاداته، يمضغ حبوبه جيدًا، ويشرب ماءه ويمتدح خصال مطبخه. وعليه إلى جانب كل هذا، وهذا هو الأهم، أن يكون فرحًا في الولائم فيطَّرح عنه الهموم، ويبقى مستعدًا لاقتحام الصّعاب قويًّا صحيحًا[20].

يتكرر لدى نيتشه الحديث عن قضايا التغذية ومشاكلها، في غير ما مكان، في **هذا هو الإنسان**، و**هكذا تكلم زاردشت**، و**إنسان مفرط في إنسانيته**، و**العلم المرح**، و**أصل الأخلاق** حتى وإن كان يعالج قضايا بعيدة عن الحديث عن القضايا الحقيقية للتغذية، غير المشكلة الأولى ليست في جدوى الفاكهة أو أهمية مربى الفاكهة لتجاوز مذاق نص مرّ أو حدث شديد المرارة كما حدثنا نيتشه في أحد نصوصه، وإنما في إيجاد ثمن الفاكهة، وثمن اللحم، هذا الغذاء الدّيونيزوسي بامتياز، وهذه المشكلة الحقيقية هي التي تكلف بها معاصروه بدون شاعرية وحسن ذوق ككارل ماركس مثلا الذي أمد البروليتاريا بجهاز مفاهيمي وفتح لهم كوة حلم لتأسيس مجتمع يشترك فيه النّاس: الكلأ والطّعام ووسائل الإنتاج، وإن بالنّضال وليّ يد المستحوذين والطّبقات الأخوذة التي لم يجد نيتشه بُدّا من مُدارعتهم إن هو تعلق الأمر بالطعام قائلا: «إن خير ما في الأرض لي ولأتباعي وإذا مُنع عنا ننتزعه عنوة واقتدارًا بأيدينا، أجود وألذُّ غَذاء، وأنقى سماء وأكثرها صفاء، وأقوى الأفكار وأجمل النّساء»[21]. بشكل قد يظهر شراهة نيتشه وشراسته إن تعلق الأمر بالغذاء.

لقد رأى نيتشه أنه من الأجدى أن يخصّص شذرات كاملة عن الخبز وفقرات صالحة عن الفاكهة واللّحم وتحديد علاقته بها، رغم أن أثينايوسفي كتابه **مأدبة الحكماء** يرى أن الشّاعر الحكيم لا يجب أن يتحدَّث عن أكل الخضراوات والأسماك والطّيور لأن ذلك علامةٌ على جشعه، ولأنه من غير اللائق أن يمضي وقتَه في تحضير الأكل أو حتى التّفكير فيه بنهم وشوق، بشكل يجعلنا نطرح سؤالًا قد نراه مخجلًا، وقد لا يراه نيتشه كذلك، هل كان نيتشه جشعًا لحد يجعله يعتني بالكلام عن الطّعام ودوره الحيوي في تشكيل هوية الكتابة والإبداع الفلسفي لديه؟ هل كان

19- المصدر نفسه، ص. 319.

20- المصدر نفسه، ص. 220.

21- المصدر نفسه، ترجمة: فيلكس فارس، ص. 220. و**هكذا تكلم زاردشت**، ترجمة: علي مصباح، ص. 526.

أكولًا إلى حدّ يخصص فيه صفحات لعرض موقفه من المطبخ ومن طُرق الطّهي في كتابه الذي يقوم مقام السّيرة الذّاتية **هذا هو الإنسان** الذي أظهر فيه علو كعب في تذوق الطّعام ومعرفة واسعة بأسرار المطبخ؟ أليس يشبه في حبه للأكل ديوجين الذي كان يتقيأ من أجل أن يتناول وجبة أخرى، غير أن نيتشه يمتنع عن شرب القهوة لأنها قد تفسد الطّعام في معدته؟

قد تكون الأسئلة السّالفة عادية جدًّا بالنّسبة لنيتشه المهووس بالأكل، وبكل ما هو إغريقي، خاصة وأن ملاحم هوميروس في **الأوديسا** كانت حافلة بالمأدبات والموائد الحافلة بأنواع الطّعام وصنوف الطّير، وبنصائح مهمة حول الغذاء والأطعمة وجلسات الشّراب، نصائح وأنظمة، شبيهة بنواميس أفلاطون، إنها أشياء بالغة الأهمية، بشكل لا يمكن نعتها بالتّافهة أو الصّغيرة أو الحقيرة، يقول نيتشه: «قد يسألني سائل لم هذا الكلام عن هذه الأشياء الصّغيرة والتّافهة حسب الأحكام المعروفة؟ وسيقال لي: «أنني لا أفعل بهذا سوى الإساءة لنفسي، خاصة وأنني مؤهل حسب رأيهم للانخراط في مهمات كبرى»، جوابي سيكون: «إن هذه الأشياء الصّغيرة من غذاء وأمكنة واستجمام؛ أي مجمل دقائق الولع بالذّات، لهي في كل الأحوال أهم من كل ما ظل إلى حد الآن يؤخذ على انه مهم. من هنا ينبغي أن يبدأ المرء بإعادة التّعلم»[22].

3. عن مائدة نيتشه:

«لم أعرف وقتًا آخر

أكلت فيه بمثل تلك المتعة»

نيتشه

الحديث عن الأكل والموائد هو ليس حديثا عن أمور مهملة، بل هو جوهر الحياة وأي تهميش لهذه الأشياء البسيطة بحسب نيتشه، قد يستحق منا توجيه اتهام مباشر وقاس بنفي الذات بل ومقت الحياة واحتقار الجسد، والاشتغال المنحط على مصائد الضعفاء بالحديث الموحش عن نكران الحياة والتّزهد فيها، والانتقام من عُشّاقها بطرق بشعة وسامّة جدًا، بالدعوة إلى الارتفاع قليلا عن عيوب الحياة والصّوم عنها، وإن كان هو نفسه يعيب على نفسه أنه كان حتى بلوغ سن النّضج لا يتغذى إلا بصفة رديئة[23].

إن الحياة الطّيبة والرّائقة تسير لدى نيتشه بتواز مع الكتابة المستغرقة في عطائها ومعهما تنتصب التّغذية الجيدة والنّهمة التي لا جوع فيها ولا نصب، ومعهما يحضر كذلك النّوم

22- نيتشه، فريدريك (1844-1900)، هذا هو الإنسان، دار الجمل، لبنان، بيروت، ص. 60.

23- المصدر نفسه، ص. 39.

الهيء، يقول نيتشه عن سبعين يوما عاشها في بحبوحة الإبداع الفوّار والعيش السّعيد يعالج مشاكل آلاف السّنوات القادمة: «لم أعرف وقتًا آخر أكلت فيه بمثل تلك المتعة، ولا عرفت نومًا أفضل»[24].الأكل الجيد شرط للكتابة المبدعة والمجنحة، شرط لا يمكن تهميشه ولا تَعدّيه، ولا يمكن الاستدارة عليه، فالأشياء التي قد يراها البعض صغيرة من دقائق الولع بالذات تبقى الأهم من كل المتطلبات التي ظلت البشرية تثمن فيها، لهي مجرد «خيالات ومجرد أوهام وبعبارة أكثر شدة أكاذيب طالعة من عمق الغرائز السّيئة لطبائع مريضة ومضرة بالمعنى العميق للكلمة»[25].

كما تتكون مائدة نيتشه من كمية كبيرة، بشكل غير معتاد، من الفاكهة والتي كان يعتقد مدير الفندق الذي يسكنه، أنها السّبب الأهم في المشاكل المتعددة التي كان يعاني منها نيتشه في معدته، وفي المساء بعد ساعات من المشي يتناول بعض البسكويت والخبز مع العسل الذي كان يأتيه من نومبرج، وكمية «لا تصدق» من الفاكهة مرة أخرى، وأكواب الشّاي التي كان يُعدّها لنفسه في غرفة الطّعام، الشّاي الذي اعتبره مولدًا للكدر[26]، ومع ذلك فهو ينصح به لعلاج العقل الألماني الذي خنقته الجعة والجرائد، كشكل من الحمية طبعا إلى جانب قراءة مقالات النّقد[27]. خاصة وأن «أصل العقل الألماني: ألم في الأمعاء... العقل الألماني عسير الهضم، لا يستطيع إنهاء أي شيء»[28]. ومع ذلك ينصح بشربه لكن بنسبة قليلة لكنها قوية ومركزة صباحًا، فكلما كان غير مركز كلما أضر بالصحة وعكّر اليوم كله.

كان نيتشه شرها في الأكل، لهذا يذكر بنوع من الندم أنه حتى منتصف عمره، أي كراشد وما يزال يأكل بطريقة نزيهة مع الأسف، لينقلب على سيرة طفولته في الأكل، إلى سيرة غير نزيهة بالمرة، إنه كان ذا معدة رواقية تطحن كل شيء[29]، خاصة ما دام أن المشي الطّويل الذي يقضي فيه

24- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 62.

25- المصدر نفسه، **ص.** 60.

26- المصدر نفسه، ص. 41.

27- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 324، "نظرات أجنبية"، ج. 2، ص. 98.

28- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ترجمة محمّد النّاجي، **ص.** 60.

29- في الشّذرة 306 المعنونة بـ «الرواقيون والأبيقوريون» يتكلم نيتشه عن معدة الرّواقي فيقول: «يختار الأبيقوري الحالة والأشخاص وحتى الأحداث التي تناسب تكوينه الثّقافي، ولأنه انفعالي إلى أقصى حد فإنه يتخلى عن الباقي كله – أي عن أغلبية الأشياء تقريبًا – لأن ذلك سيكون طعامًا حارًّا وثقيلًا بالنّسبة إليه. بالمقابل، يتمرن الرّواقي على ابتلاع الأحجار والهوام وأطراف الزجاج والعقارب، وعلى عدم الاشمئزاز من ذلك، فمعدته يجب أن تصير غير آبهة بكل ما تفرغ فيها صدفة الوجود، إنه يذكر بطائفة عيساوة العربية التي نجدها في الجزائر: ومثل فاقدي الإحساس هؤلاء

طرفًا من يومه يؤدي عملَ الغثيان عند ديوجين؛ لمعاودة الأكل أو للتغلب على عسر الهضم، خاصة وهو المحب النّهم للحوم المشوية كما ينبه، وقليل اهتمام بالخبز الذي لا يُضعف ذوق المواد الغذائية الأخرى فقط، بل ويمحوه، ورغم اعتراف نيتشه بأنه يدخل في كل وجبة طويلة[30]. غير أنه يربأ بنفسه بأن يواظب عليه، فالناسك كما يقول زاردشت «لا خبز لديه، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بلحم الخراف أيضًا، لديَّ خروفان، فليُذبحا وليعدَّا، ليعطّرا، فإنني أحب لحم الخروف معطرًا، ولدي أيضًا أعشاب وأثمار تكفي أهل الشّراهة، وأهل الذوق وعندي من الجوز وسائر المُغلقات ما يشغلنا كسره وكشف خفاياه. سنجلس عما قليل لنتناول خير غذاء، ولكن على الجميع أن يمدوا سواعدهم للعمل وليشتغل الملكان كالآخرين؛ لأن زارا وهو ملك يمكنه أن يكون طباخًا أيضًا. وفرح الجميع بهذا الاقتراح ما عدا المتسول المتطوع الذي كان يأنف من اللحوم والخمور والتوابل، فقال: اسمعوا ما يقول زارا في شراهته! فهل يتسلق الإنسان الجبال ليتنعم بوليمة؟»[31].

هوس نيتشه باللحم، ربما هو من جعله يعنون إحدى شذراته بـ«خطر النّباتيين»، حيث يعتقد أن الاستهلاك المفرط للأرز يدفع صاحبه إلى استعمال الأفيون والمخدرات، تمامًا كما يدفع استهلاك البطاطس المفرط إلى تعاطي الخمر، إلا أن تأثيره اللاحق الأشد دقة، هو أن يخضع الانسان لأشكال التفكير والاحساس التي تفعل فعل المخدرات[32]. غير أن شبيه نيتشه في أكثر من صفة واختيار وهو إ. سيوران الذي رأى في نيتشه لا فيلسوفًا وإنما مزاجًا، سيلجأ إلى الخُضر المسلوقة وإلى الحبوب، بعد أن أصيب بالتهابات معدية بسبب نظام غذائي رهيب ونهِم، وبسبب

يحلو له أن يكون له جمهور مدعو لمشاهدة عرض فقد – حساسيته، وهو بالضبط ما لا ينصح به الأبيقوري عن طيب خاطر: في الحقيقة إن لهذا «حديقة»! قد تكون الرّواقية منصوحا بها كثيرا لرجال يرتجل معهم القدر ويعيشون في منتصف عهود قاسية، عالة على رجال أجلاف ومتقلبين. لكن الذي يتنبأ إلى حد ما بأن القدر سيسمح له أن يغزل غزلا طويلا فحسنا سيفعل باتخاذه إجراءات أبيقورية: فقد فعله كل رجال العمل الرّوحي حتى الآن ! ستكون بالنّسبة لهم أفدح الخسائر أن يفقدوا انفعاليتهم الرّقيقة وأن يتلقوا في المقابل جلدا الرّواقيين الشّائك واللاسع». (فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 181.).

30- فريديرك نيتشه، **المسافروظله**، ضمن **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 98، "شيء مثل الخبز"، ج. 2، ص. 151.

31- فريديرك نيتشه، **هكذا تكلم زاردشت**، ترجمة فيلكس فارس، طبعة هنداوي، ص. 319.

32- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، الشّذرة: 145، خطر النباتيين، ص. 140.

الإفرازات القوية للمرارة التي ربما أخذ منها عنوان كتابه **قياسات المرارة** *Syllogismes de l'amertume*.

4. الفلسفة والغذاء:

«ظللت حتى منتصف عمري كراشد آكل

(...) بطريقة نزيهة»

نيتشه

يؤكد نيتشه في **العلم المرح** أن هناك علاقة واضحة بين ما نتحصّل عليه من فلسفة ومجموعة الأمراض التي تعاود صاحب تلك الفلسفة، إنها تعكس شخصيتنا المعافاة أو المريضة، فسؤال ماذا يعنينا أن يسترجع السّيد نيتشه عافيته؟ يبقى فارغًا أمام الأسئلة المغرية التي تبحث عن العلاقة بين الصّحة والمرض[33]، يقول: «كان الحدث الأعظم في حياتي هو الشّفاء»[34]. كل فلسفة هي سيرة ذاتية للألم أو مجموعة آلام قد تكون آلامًا شرجية حادة مثلا، أو قرحة معدة، أو ضعف جنسي قاهر وعنّة، كما هي أرشيف ملاصق لتاريخ مجموعة من أعضاء جسد بعينه، فتكون الفلسفة إما مسايرة وانهزاما أمام مرض أو دواء بعينه، أو في مقام مرهم، أو مُهدئ، وقد تكون مجرد ترف جميل[35]، نستسلم له أو نركب عليه، لذا فقد تكون الخلافات في تأويل فلسفة ما هي خلافات في الحقيقة في تحديد بنية جسد ما، وقياس درجة احتقانه وعيائه أو قوته، فالحماقات المتهورة للميتافيزيقا هي أعراض مرضية للبنيات الجسدية المعتلة الخاصة بأصحابها، والقذارات الخفية القابعة في الأعماق القصوى لبعض الطّبائع، إنما هي متأتية من فساد الدّم[36] ومن الأمعاء بخاصة، الشّيء الذي يطرح معه التساؤل عم إذا كان المرض هو من يُلهم الفيلسوف؟.

كان أبيقور صاحب جسد عليل، وآلام معدته كانت تمنعه الأكل بشراهة ونهم، لذا كان يقف في مسألة إشباع اللّذات عند ما هو ضروري وآني فقط، لهذا كان يرى أن كرش الكائن بيت لرغباته التي ينبغي إشباع نزواتها في حدود الطّبيعي والضّروري؛ أي بالخبز والماء فقط، فتكون الحمية الملائمة لمرضه هي مبادئ فلسفته، ووصفتُه التي ستجني على أجساد تلامذته بدعوى أنها طريقهم لتحصيل السّعادة، وعلى عكسه تماما كان ديوجين الذي حرر عنه نيتشه مقالة وهو في

33- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 44.

34- فريديرك نيتشه، **ضد فاغنر**، ص. 7.

35- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 44.

36- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 33.

سن الثّالثة والعشرين، والذي كان نهمًا شرهًا يضطر نفسه إلى التقيّؤ كي يقدر على الابتلاع من جديد. نيتشه هو الآخر قد يشبهه في حبه للأكل، وفي غثيانه المتكرر الذي قد يكون سببه تخمر الفواكه في معدته، أو إفراطه في تناول اللحم العصي على الهضم، اللحم الذي كان يتجنبه سقراط، ونبه فرفريوس في كتابه **عن التقشُّف** إلى الامتناع عن تناوله باعتباره وبقية الأطعمة أعداء للحكيم ومضادات لأي حكمة جيدة، واكتفى المعري بالعدس عنه. ويشبهه نيتشه في اعتبار، أيضًا، أن وجبة ثرية وباذخة هي أيسر هضمًا من وجبة غير كافية، لذا فعلى المرء تحسّس حجم معدته جيدًا، فكل المفاسد تأتي من عدم التّناسق مع كفاءتها وحجمها، وعدم الانضباط لما تحتاجه، وبالتالي تعرضها ومعها كل ما ينتجه العقل البشري لأضرار بالغة.

لم يكن نيتشه يحب الاختلاط بالآخرين عند أخذ وجبته، شبيها في هذا بأبي العلاء شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشّعراء الذي في الأكل عورة يجب أن تستر[37]. فكلما كانت غرفة الطّعام مزدحمة ساعة الغداء إلا وفضّل تناول الطّعام بشكل أكثر خصوصية، في عزلة محتاطًا ممن حوله، غداءٌ عادة ما يتكون من شرائح اللّحم البقري الذي يوفر، بحسب جالينوس في كتابه **عن قوى الأطعمة**، موادَّ غذائية غنية وغير سهلة الهضم، ويجعل قوام الدّم أغلظَ من الحد المناسب، فإذا أكله شخصٌ ما يميل بطبعه إلى الكآبة والسّوداوية، كالحالة التي كانت تعتري نيتشه، فتناوله (أي اللّحم البقري) حتى الشّبع، قد يصيب المرء بغض النّظر عن الكآبة والسوداوية بأمراض أخرى كالجرب والحكة التي كانت تصيب نيتشه غير ما مرة، وبالإضافة إلى حمى الرّبْعِ وداء الفيل، هذا الكائن الأخير الذي يؤكد نيتشه أنه يحبل بأفكار في نفس المدة التي تحبل فيها أنثى هذا الكائن؛ أي ثمانية عشر شهرًا. ورغم أن نيتشه يعلم بخطورة اللحوم على صحته غير أنه لا يرغب في مفارقته، فحبه تجاه لحوم الخراف يبقى الأقوى، يشبه في هذا الفيلسوف الفارابي.

حالة لا سكون المرض التي قد يكون سببًا فيها آلام نيتشه المعدية، حالة كانت تعجب نيتشه لأنها تهبه المزيد من الأفكار وتجوّد عملية الكتابة لديه، لذا يقول: «إننا نكتب بأحشائنا»، الأحشاء من تقوم بعملية مصّ مستخلصات القوت، وتقوم بتصنيف الصّالح والطّالح من الغذاء، وبداية التصنيف الصّحيح والخاطئ يبدأ من هنا، ومن هنا يفتتح الوجع والأنين سُوّره. الكتابة بالأحشاء تنبئ بخصوصية للألم ومنزلة لجدواه وكلها قد ترتبط من جهة الدّرجة والحدة بسوء عملية الهضم، كما يؤكد نيتشه نفسه، والذي يتكلم في مشاكل الصّحة كطبيب متخصص لا كحاشر لأنفه فقط، هذه المعاناة التي جعلت نيتشه يعترف: «لا أريد أن أتخلى أبدا، (...) عن فترة

37- طه حسين، **مع أبي العلاء في سجنه**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص. 43.

السّقام البالغ هذه، حيث ما تزال فائدتها حتى اليوم، بالنّسبة لي، غير مستنفدة بعد: كما أنني واع بما فيه الكفاية، بكل الطّائلة التي تمنحني، قطعًا، إياها التّغيرات اللامتناهية لحالتي الصّحية عن كل نموذج خشن للعقل»[38] الشّيء الذي يجعلنا غير قادرين على الفصل بين تاريخ الرّوح وأرشيفات خوار الجسد المريض المنصَهرَيْن في مداد الكتابة فأن تكتب معناه أن تتخلص من الغصص وتربأ بمصارينك عن عصارات المرارة التي تزيد من ضعف الأمعاء. يقول نيتشه: «يبدو لي أيضًا أن الكلمة الأكثر فجاجة، والرسالة الأكثر خشونة تظل أكثر فضلًا وأكثر شرفًا من الصّمت. فأولئك الذين يركنون إلى الصّمت هم الذين يفتقرون دومًا إلى اللياقة وسماحة القلب. إن الصّمت اعتراض، لكن تجرع الغصص ينتج عنه حتمًا فساد الطّبع، بل إنه يفسد حتى المعدة. كل الصّموتين هم من المصابين بسوء الهضم. واضح إذا أنني لا أُحبذ أن لا تحظى الفظاظة بما تستحق من الاعتبار، إنها في نظري الشّكل الأكثر إنسانية للتعبير عن التناقض، وهي إحدى فضائلنا الأساسية في ظل الميوعة الحديثة»[39]. تذوق النّصوص الجميلة والملهمة قد تتدخل فيه تربيتنا الغذائية، وبخاصة تطور جانب التذوق فينا، ولهذا كان نيتشه يعطي للذوق قيمة؛ وهو أستاذ الطّهي ومنتقد الطّهاة الذي يحكم على جودة الطّبخ وطريقة الأطعمة ومدى جماليتها وصحيتها، فمن لا ذوق له على مستوى الموائد لن يكون له أي ذوق في حضيرة الفن، يقول: «غالبًا ما حمل الذّوق، وهو الحاسة الوسيطة حقا، الحواس الأخرى على تبني نظرته للأشياء ونفث فيها قوانينه وعاداته»[40]. لذا «يمكننا، ونحن على مائدة الطّعام، أن نحصل على معلومات تخص أدق أسرار الفنون: ما علينا إلا ملاحظة ما نتذوقه، اللحظة التي نتذوقه فيها، الذوق الذي نجده فيه، وكم من الوقت نجده فيه»[41]. فكلا من الطّعام والفن يقومان على الذّوق، أي الحاسة الوسيطة، وفساد ذوق الطّعام يفسد تذوق ما هو فني «ما أشد خبلنا! إذا بدأنا وجبتنا بأكل العقبة (dessert) والتلذذ بالحلاوة تلو الحلاوة، فلا نندهش إذا افسدت معدتنا وكذلك شهية الطّعام الصّلب والمغذي الذي يدعونا إليه الفن»![42]، لذا فإن أعقد المواقف الفنية قد تحلّ وتحسم القول فيها لقمة واحدة من الطّعام، من مثل «في ما إن كنا سننظر إلى المستقبل بعين غائرة أم متفائلة؟»[43] فعدم الرّضى والقدح في العالم إنما ورثه

38- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 46.

39- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 28.

40- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 102، الحاسة الوسيطة، ج. 2، ص. 151.

41- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 102، "الحاسة الوسيطة"، ج. 2، ص. 151.

42- المصدر نفسه، الشّذرة: 174، "ضد فن الأعمال الفنية"، ج. 2، ص. 59.

43- المصدر نفسه، الشّذرة: 184، "قرابة «المتشائمين»"، ج. 2، ص. 173. 174.

الجيل الحالي عن سوء تغذية واضطراب في الأكل، أي عن جوع أصاب سلالتهم في الماضي فـ«حتى فنانونا وشعراؤنا نتنبه أحيانا، رغم الترف الذي قد يعيشون فيه، أن لهم قرابة رديئة، أن أسلافا مضطهدين وناقصي التغذية قد مرروا في دمهم ومخهم عناصر كثيرة تعاود الظهور في الموضوع كذا أو الفرق المقصود كذا في عملهم. حضارة الإغريق حضارة رفاهية، رفاهية قديمة، لقد عاشوا خلال عدد من القرون أفضل منا (بكل المعاني، خاصة في بساطة أكثر من حيث المأكل والمشرب)، وهو ما منحهم في نهاية المطاف تلك العقول الحازمة والدقيقة، لذلك الدّم المتدفق بسرعة، مثل الخمرة الصّافية، الذي أظهرته أفضل مزاياهم ليس من خلال نشوة معتمة وعنيفة بل في وضوح ساطع الجمال.»[44]. لذا كان الإغريق دون ملل أو بملل ناقص، فالملل الذي يصيب العقول الدّقيقة والمثقفة إنما يكون حينما تجد هذه العقول نفسها أفضل ما تقدمه الأرض عديم الطّعم والذّوق «وبما أنها قد اعتادت أن تتناول طعاما يكون دائما مختارًا، وأن تشمئز من الأطعمة غير الشّهية، فإن خطر الموت جوعا يتهددها هنا، - لأن أفضل أنواع الطّعام قليلة جدًّا، بل إنها تكون أحيانًا منيعة وصلبة إلى حد أن أقوى الأسنان لا تستطيع أكلها»[45].

5. عن الطّعام الطّعم أو الفيلسوف وطبيب الجهاز الهضمي:

«على المرء أن يعرف حجم معدته»

نيتشه

تأثير الطّعام قد لا يتوقف عند إصابة شخص له علاقة مباشرة معه، وإنما قد يمتد ليصيب سلالة بأكملها وشعبًا بأسره، وبأثر رجعي، بفشل ذريع في حكمتها وقواها العقلية والحيوية كالخمول أو بانتفاضة عقلية جموحةومثوتبة[46]، من هنا يحسم نيتشه بأن مشكلة العقل الألماني إنما تكمن في مطبخ الألمان وفي أمعائهم، فمصدر كل الأحكام المسبقة إنما هي الأمعاء كما يؤكد

44- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 184. "قرابة «المتشائمين»"، ج. 2. ص. ص. 173. 174.

45- المصدر نفسه، الشّذرة: 369. "الملل"، ج. 2. ص. 106 .

46- «حيثما يشرع اشمئزاز عميق من الوجود في الاتضاح تبدو للعيان الآثار البعدية للخطأ الجسيم في التغذية الذي جعل شعبٌ عظيم من نفسه مرتكبه. هكذا فإن انتشار البوذية (وليس ظهورها) يُعزى بقدر كبير إلى إفراط الهندوس في استهلاك الأرز والاقتصار عليه تقريبا، وإلى الخمول التام الذي ينتج عنه. لربما كان من الملائم تفحص عدم الرّضى الأوربي في العصور الحديثة من جهة المشروب الذي يتعاطاه أسلافنا، خاصة من عاش منهم في القرون الوسطى، تحت تأثير الميولات الجرمانية: القرون الوسطى، هذا يعني تسمم أوربا بالكحول. إن الاشمئزاز الألماني من الحياة ذبولٌ شتوي محض، دون نسيان آثار جو القبو وفوحان المقلاة الخاصين بالمساكن الألمانية.» (فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، الشّذرة: 134، "المتشائمون باعتبارهم ضحايا"، ص. 136.).

نيتشه. جالينوس في كتابه **عن قوى الأطعمة** يُعدّد تأثيرات الطّعام على الفكر وتحسين جودته، وبالتالي إنما يمكن أن نقيّم حسن أو قبح المكتوب شعرًا كان أو نثرًا من خلال الرّجوع إلى أرشيف أمعائه ووصفات مطبخه. إن ثمة علاقة لا فيزيولوجية فقط بالمعدة ومعها بقية أطراف الجهاز الهضمي كله، بل وبما نكتب وبما نقرأ؛ لأن لها علاقة أكبر بصحتنا النّفسية واعتلالاتنا البسيكوباتية التي ترفع رأسها مرة مرة في نصوص نيتشه تريد هي الأخرى أن تتكلم وتشجب وتعارض وتقسو وتبكي وتضحك وترقص.

تصير الأطعمة والمعدة مع نيتشه ، في غير ما مرة، كنقطة أو بالأحرى كتيمة أساسية في العمل التخييلي المهم عن سيرة نيتشه[47]، الذي كتبه خبير نفسي، إذ يحاول توصيف كل ما يحيط به بطريقة تعود به رأسا نحو متعلقات المعدة النيتشوية التي لا يخجل نيتشه عن تصدير همومها إلى القراءة، وتحويلها إلى موضوع إلى جانب موضوعاته الفلسفية الأخرى، وكأنها لا جزء من سيرته وفقط، بل جزء من فلسفته، لذا ربما تحضر مفاهيم طبيب أمراض المعدة والجهاز الهضمي في كثير من تحاليله، فهو مرة يتبرأ من اللّغة الألمانية لأنها ثقيلة وعسيرة على الهضم، ومرة يعترف أنه بحاجة إلى أضراس أشد لهضم أفكار أحدهم، ومرة يحتاج إلى شيء حلو يغير به طعم ما يقرؤه، إذ يقول: «إنني أتناول قدحًا من مربى الفواكه؛ كي أزيل طعم حكاية حامضة»[48]. والقراءة بالنّسبة لكاتب منحط أو عبقري ثقيل قد تسبب له عسرًا في الهضم، ومغصًا مَعديا لا يحتمل، فقراءة شكسبير تسبب له تشنجات شنيعة للغصص[49]، يقول مثلًا: «ينبغي دائما أن تكون الكتابة انتصارا، وبتعبير أدق، انتصار على الذات يجب نقله إلى الآخرين لينتفعوا به، إلا أن هناك مؤلفين عسيري الهضم لا يكتبون إلا حين لا يستطيعون هضم شيء ما، بل بمجرد ما يعجزون عن مضغه: إنهم يسعون عن غير قصد، من خلال غيظهم، إلى إثارة سخط القارئ لكي يمارسوا عليه بعض السّلطة، ومعنى ذلك أنهم يريدون هم كذلك أن يحققوا انتصارًا ولكن على الآخرين»[50]. بل إن مجرد القرب من أي ألماني يسبب له سوء هضم[51]، وهناك نصوص تشبه أكل الخبز وحده دون طبق يغير طعم الخبز.

47- إرفينيالوم، **عندما بكى نيتشه**، دار الجمل، ط 1، 2015، الفصل 11.

48- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 28.

49- المصدر نفسه، ص. 49.

50- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 152. "الكتابة من أجل الانتصار"، ج. 2، ص. 51.

51- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 50.

لدى نيتشه، أي فلسفة جيدة، إذن، تعني بالمقابل نظام غذائي وصحي جيد، متزن، ومتين، وتعني أيضا فيلسوفًا بأسنان شرسة وأضراس وأنياب قوية تُهرمش وتسحق كل ما يلقى إليها، والطّبيب الجيد من بإمكانه فهم فلسفة فيلسوف ما، ولأن الأمر يتعلق بالقرن التاسع عشر حيث لم تتناسل التخصصات من داخل الحقل الطّبي بعد، كان يمكن لنيتشه أن يقول بجرأة وبشجاعة بضرورة المرور عبر طبيب أمراض الجهاز الهضمي «gastro-enterologue»؛ لجس نبض فلسفة وثقافة شعب معينين، لتقييم حالة هذه الفلسفة والتدقيق في مجمل طبائعها المرضية التي تتجاوز الجسد إلى النص وتفتك بمعانيه كما يفتك الغداء الفاسد في الجسد ويُفسد روحه.

بأذنه الشّريرة التي يستعين في التغلب على وهنها بمجسات شقية تسمع ذبيب فكرة في حجم نملة وتنصت لحركاتها البطيئة، وقدرته العالية على التنبه للأعضاء العليلة بالتحديد والكشف المبكر عن الوساوس الغبية والغيبية، كي لا تتحول الأخيرة إلى أوهام متوحشة يصعب اقتلاعها من ذهنية شعب بأكمله، سرعان ما تصير أوراما ودماميل موحشة، فإن ظهور الطّبيب في صيغته المعاصرة لنيتشه هو الكفيل بأن يدخل الأطباء الذين يدعون شفاء الرّوح لا الجسد إلى جحورهم، ويغلقوا أمام كساد تجارتهم دكاكينهم التي يبيعون فيها أوهام الما وراء، فبفضل مناهجه العلمية سَهُل على الطّبيب الرّبط السّريع للعلة بالنّتيجة، ولم يعد ممكنا الاستثمار في علل الما وراء، وبرشاقة ديبلوماسية ينفذ إلى خبايا القلب وثنيات الرّوح وذلك برهافة حس شُرطي أو محامي[52]، فعلى الأقل هو لن يحتاج إلى الإيمان بالمعجزات لأنه يعرف فاعلية الوصفة الطّبية وليس في حاجة إلى تلمس الصّليب طلبًا للعون والمدد لأنه يعرف المعونة التي يقدمها الدّواء للجسد المريض فنيتشه يكره كل من يخر عاجزًا يائسًا أمام الصّليب المسيحي[53].

رغم أن في قدرة الطّبيب أن يبتر العضو ويقتلعه نهائيًا، تمامًا كما يفعل نيتشه، بدون شفقة، تماما شأن أي طبيب في غرفة العمليات، حينما لا يرى إلا الاستئصال حلًّا، لا يرى نيتشه إلا استعمال المطرقة، لكن بشفقة تتجاوز الطّبيب، إذ دون تخدير وبلا تحذير يهوي على معبودات البشر، حلا منه، لتهشيم الأوهام والأصنام مهما كانت العلاقة الحميمية التي تجمعها بالقطيع المريض؛ أيتام الوهم الكبير، ولهذا كان أمل أو منتهى منية نيتشه في مجيء فيلسوف طبيب تنهض مهمته على دراسة مشكلة الصّحة الاجتماعية لشعب ما، لحقبة ما، لجنس ما، للإنسانية

52- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، ترجمة: علي مصباح، الشّذرة: 243، "مستقبل الطّبيب"، ص. 216.

53- فريديرك نيتشه، **ضد فاغنر**، ص. 121.

جمعاء[54]، خاصة المتعلقة بعلل بيت الدّاء أمعاؤه، فعلى الفيلسوف أن يكون فيه كثير من جالينوس وكثير من أبقراط، وهكذا كان الفارابي وابن سينا فيهما كثير من ابن بختيشوع الطّبيب والرّازي، وابن رشد كان فيه كثير من ابن زهر صاحب الكنانيش العلاجية،ولنذكِّر هنا بانبهار الأطباءُ بالفلسفة وتأثّر الفيلسوف بالطب، ولنذكُر أن جالينوس في أحد أعماله **عن العادات** يستعين بـ **محاورة طيماوس**لأفلاطون، وكذلك أفلاطون في **الجمهورية** يستعين بأبُقراط في حديثه عن الأغذية، لهذا عَنون كتابًا خاصًا بـ**عن آراء أفلاطون وأبقراط** ليجمع بين الحكيمين، فالفلسفة على صعيد آخر هي مقاربة في العلاج، والفيلسوف غالبًا ما يؤدي دور الاستشارة السّريرية، يعالج نفسه بما يقرأ ويعالجها بما يكتب، لهذا كان كِتاب شوبنهاور الذي تصوره نيتشه بأنه كُتب له خصيصًا، علاجًا للحالة ما قبل معرفته بشوبنهاور، وكتابه **إنسان مفرط في إنسانيته** أيضًا كان علاجًا من مرضه بالرومنطقية، يقول: «كتتمة ومضاعفة لعميلة علاج ذهني، أي كمعالجة ذاتية من داء الرّومنطيقية، على النّحو الذي ابتكرته ووصفتْه لي غريزتي التي ظلت معافاة خلال تلك الفترة من إصابتي بأخطر نوع من الرّومنطيقية. والآن، وبعد ست سنوات من المعافاة، سأقدّم (...) **إنسان مفرط في إنسانيته**»[55]، هذا الكتاب الذي يعتبره مجموعة من التعاليم الصّحية لاعتلالات ثقافة الشّعب الألماني الذي حُكم على نيتشه به، فالمرض الذي ينخر جسد الألماني هو سوسة الثّقافة المقرفة يقول نيتشه: «كنت أرتعد وأمضي في طريقي وحيدًا من بعدها (..) وإذا أنا مريض، بل أكثر من مريض، متعب بسبب الإحباط السّاحق وخيبة الأمل في كل شيء مما تبقى لنا (...) متعب من جراء القرف (...) من كل تلك الأكاذيب المثالية وميوعة الضمير (...) متعب أخيرًا بسبب الحزن»[56].

الفلسفة لها طبيعتها العلاجية، والفيلسوف له مقارباته الطّبية والغذائية، ما دام أن الإنسان كائن مريض وليس فقط مهددا بالمرض، بل والفيلسوف نفسه كائن يعتل ويضعف أمام أحد أمراض العصر، وأمام غرائز الانحطاط التي يسعى بغباء وبلادة نحوها، فيتدهور توازن الفكرة لديه بفقدان شهوات الجسد لا اتزانها، فيسقط بعيدا إلى القاع مع الدّواب والمحار والقرضيات الصّغيرة التي نشأت عن أشباهه في البلادة كما يذهب إلى ذلك أفلاطون، إن كل فلسفة هي تسويق لعلاجات وفي نفس الوقت إخفاء بأدوات بلاغية وبرهانية لاعتلالات لا حصر لها.

54- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، ص. 45.

55- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، ص. ص. 9. 10.

56- فريديرك نيتشه، **نيتشه ضد فاغنر**، ص. 122.

قد يكون المرض وطريقة تحديده أو قياس مدى حدّته سببًا في نقمة فيلسوف على فلسفة فيلسوف آخر، فنيتشه ،مثلا، لم يغفر لسقراط اعتباره للحياة مجرد مرض عضال. ليتهم سقراط بكونه رجلًا سمجًا ومريض، وعدّه عدوًا للحياة.

6.عن الاجترار:

«أصل العقل الألماني؛

عقل طالع من أمعاء كدرة»

نيتشه

إن الكتابة ومستوى جودتها إنما يتعلقان بصحة جيدة المرتبطة هي الأخرى بطبيعة التغذية الرّديئة أو الجيدة، ونوعية الطّبخ، فالإعداد الجيد لكتابة نصّ، لا يبدأ بتحضير جيد لأرشيف النّصوص والوثائق المعتمدة والجذاذات التي سيستند عليها صاحب النّص الموعود، وإنما يبدأ الأمر من المطبخ الذي يركن إليه الكاتب أوقات جوعه. ومن هنا فالأغذية التي تخرب المعدة لا تكتفي بدمارها، بل تخرب الأسلوب وتجني على طريقة التعبير، وتدمر بشكل سيء الذوق الجيد في اختيار الكلمة، مادام الوهن لا ينتج إلا وَهنا على وهن يشبهه وتشويشا وضبابًا مقيتا.

وكي لا يقع الكاتب والمفكر في مطبّات هو بمنأى عنها، يجب أن يخبر جيدًا حجم معدته، ويتعرف على كفاءتها في الهضم، لهذا كانت حمية نيتشه غريبة ومتميزة بعيدا عن نظام الطّهي الألماني، ومواقفه منه مقيتة ورافضة، فـ«كم من المساوئ والخطايا التي يمكن أن يسجّلها لمرء على حساب المطبخ الألماني عمومًا ! الزّبد قبل الوجبة (...) اللحوم المطبوخة جدًا، والخضار المصنوعة المتحوّلة دهنية ونشوية، والحلويات الفاسدة (...) وإذا ما أضفنا (...) الحاجة إلى الشّراب بعد الأكل التي عند الألمان العريقين (...) فإنه بإمكاننا فهم أصل العقل الألماني؛ **عقل طالع من أمعاء كدرة**»[57]، ليصل بنا إلى نتيجة واضحة لديه، وغير واضحة للمولعين بالمطبخ الألماني؛ وهي كون العقل الألماني لا يمثل إلا حالة سوء هضم؛ تقوده إلى حالة عدم الحسم في أي شيء يقف أمامه **فكل الأفكار المسبقة إنما تأتينا من أحشائنا**[58]. من هنا تأتي مطالبته بوصفات جيدة، من مطابخ أوربية وعالمية أخرى، هذا دون مطالبته الحكيم بأن يتوفر على أسنان متوثبة ونشطة تطحن كل شيء، حتى لا تصاب معدة القارئ والمثقف والكاتب بأي أضرار جانبية، فطبيب الأسنان ينقص

57- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 39.

58- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 40.

منها ليقويها ويفحصها، لأن «مَلكةَ الاجترار» رهينة بسلامتها[59]، فما يتمناه نيتشه لقارئه، إلى جانب أغذية متكاملة، هي أسنان كفوءة ومعدة تجاريها في كفاءتها، يقول في قصيدة «لقارئي»:

«أسنان قوية ومعدة سليمة،
هو ذا ما أتمنى لك
وإن فهمت كتابي!
مؤكد أنك ستتفهمني.»

الفم المجرد من الأسنان – كما يقول نيتشه – خليق به ألا يتناول جميع الحقائق. وتمارين القراءة الجيدة يجب أن تحذو حذو الأبقار الجيدة، ولو على حساب انتمائها لبني البشر، الحديث لصالح الانتماء لصنف الأبقار المجترة، فالاجترار هذه الملكة التي طمسها النّسيان اليوم طمسا تاما، وبسبب ضياع هذه الملكة التي يوقف عليها نيتشه كل شيء، «سينقضي وقت على كتاباتي قبل أن تصبح «قابلة للقراءة»- تلك الملكة التي تقتضي أن يكون للمرء طبيعة كطبيعة البقرة، لا أن يكون له طبيعة «الإنسان الحديث»: وأعني بها ملكة الاجترار»[60] بالإضافة إلى أمعاء مرحة ونشطة غير قابلة لأن تكون مرتعا للغازات وعسر الهضم الذي لا يمكن لأمعاء الكاتب أن تحسم فيما يجب استهلاكه أو الاستغناء عنه شأنه في هذا شأن عدم حسمه في أفكاره وطرق التعبير عنها يقول نيتشه: «أعرف إلى حد ما امتيازاتي ككاتب؛ وفي بعض الحالات المنفردة قد ثبت لي أيضًا إلى أي حد يمكن لمعاشرة كتاباتي أن «تفسد» الذوق. لن يمكن للمرء بعدها تحمل بقية الكتب، وبخاصة الكتب الفلسفية. إنه امتياز لا مثيل له أن يلج المرء هذا العالم السّامي والدقيق كل وهن في الرّوح سيصد عنها نهائيا وإلى الأبد، وكذلك كل **عسر هضم: ليست أعصابًا ما يحتاجه المرء، بل أمعاء مرحة. ليس فقر الرّوح فقط وعطن هوائها هي التي تصد عن كتبي، بل أكثر من ذلك الجبن وعدم النّقاوة ورغبة الانتقام الدّفينة المعششة في الأمعاء**: كلمة واحدة مني تكفي لنشر كل الغرائز السّيئة على صفحة الوجه. لدي من بين معارفي العديد من الحيوانات المخبرية التي تمكنني من اختبار ردود الفعل العديدة وذات الإفادة المتنوعة التي تثيرها كتاباتي[61].

7. فيلسوف دون دهون:

59- حسان بورقية، تقديم **العلم المرح**، ص. 20.

60- نيتشه، فريدريك (1844-1900)، **أصل الأخلاق وفصلها**، تعريب حسن قبيسي، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981، ص. 17.

61- فريديرك نيتشه، هذا **هو الإنسان، ص.** 71.

عسر الهضم والأمل في أمعاء مرحة كانت مأمول أغلب الفلاسفة، وكانت همهم الصّحي الدّائم، وإن السّبب فيها حبهم للحم بمختلف شُعبه. ابن رُشْد الذي لطالما تأفف من ألم وعسرِ هضمٍ غالبًا ما يُلمُّ به[62] وتكرر في مكتوباته تبرحه الدّائم من آلامٍ معدية لديه، يتضح أنه كان شديد العناية بما يأكل في أفق التغلب أو حتى التحايل على علّته التي رافقته منذ مراهقته، والتي يؤكد أنه لم يحسن متابعة علاجها، ورغم أنه لا يجد مُراغمًا في مجاراة أفلاطون من كون الحَفَظة من أجل أن يحافظوا على صحتهم التي هم في حاجة إليها كما هي الكلاب أحوج إلى حدة النّظر ورهافة السّمع، يجب عليهم أن يقتصروا في أكلهم على الأغذية البسيطة كالثّرائد البسيطة المطبوخة في الماء والملح والزّيت[63]، فإنه يذكر بأهمية اللّحم المشوي مع تذكير بأهمية لحوم الفراريج الفتيّة بما هي أوفق اللّحوم لصحة الكائن البشري وأفضلها كما نبه ابن رشد نفسه في كتابه الكليات[64]، والتي ظلت وفق اللحوم عنده المفضلة، فبعد لقائه بالسّلطان المنصور وتقريب الأخير له، بعد خوف من ابن رشد على نفسه، أرسل فيلسوفنا خادمًا له إلى بيته ليصنعوا له قَطًّا وفراخ حمام مسلوقة[65] فرحًا واحتفالا بالنّجاة. وقبل ابن رشد كان الفارابي الذي وإن لم يكن معتنيًا بهيئة ولا منزل ولا مكسب فإن صاحب طبقات الأطباء يذكر لنا أنه كان معتنيا بغذائه، متساهلًا في المسكن والملبس غير متأفف من ثقل ميزانية طعامه، فقد كان يتغذى بماء قلوب الحملان[66] اعتقادًا منه ربما بصحة التصور الأرسطي الذي يرى تركز العقل في القلب، كذلك الأمر بالنّسبة لابن سينا الذي عانى كثيرًا من جهازه الهضمي، وبخاصة من القولون الذي كان يحقنه بحقن مخدرة كي يتم أعماله الفلسفية وكي يواظب على إتيان الجواري والقيان كما يحكي تلميذه المقرب الجوزجاني.

62- عن عسر الهضم هذا يقول أبو الوليد: «كما عرض لي ذلك وأنا فتى، فأكسب معدتي سوء مزاج لست بعد أقدر على دفعه، وذلك أيضا مع سوء المعالجة لي في ذلك الوقت، فإني ما كنت حينئذ حذقت شيئا من أعمال الطّب.» (ابن رُشْد، الكليات في الطّب، تحقيق وتعليق سعيد شيبان، عمار الطّالبي؛ مراجعة أبو شادي الرّوبي؛ تصدير إبراهيم بيومي مدكور، ص. 180.) المعدة وآلامها اللعينة هاته هي التّي كانت سبب وفاة ابن رُشْد ونهايته بحسب أحد الرّوايات الملفقة (ربنان، ابن رُشْد والرُّشدية، ص. 61.)

63- ابن رُشْد، **الضروري في السّياسة**، **مختصر كتاب السّياسة لأفلاطون**، نقله إلى العربية: أحمد شحلان، مع مدخل ومقدمة تحليلية لمحمد عابد الجَابرِي، منشورات دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.1، 1997م، ص. 98.

64- ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد (1126-1198 م) (520 هـ- 595 هـ)، **الكليات في الطّب مع معجم بالمصطلحات الطّبية العربية**، تقديم وتحليل: محمد عابد الجابري، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص. ص 323.322.

65- ابن أبي أصيبعة،**عيون الأنباء عن طبقات الأطباء**، بيروت، 1965، ص. 530.

66- المصدر نفسه، ص. 603.

نعم «ليس كل مبدع مدخّنًا بالضرورة؛ بينما يرتبط الإبداع بالتدخين من النّاحية الفطرية؛ إذ يمكن أن تكون مبدعًا بالفطرة أو حشّاشًا حتى كما الأمر بالنّسبة لشكسبير أذكى البشر بحسب سيوران، وأحيانًا كثيرة يتحول التدخين إلى هواية أو عادة؛ حيث يكون مجرد فعل، ولا طعم بعد عدة لفافات، فالتفاعل مع التبغ ليس دائمًا لخلق فكرة أو استدعاء الوحي، لكن من الممكن أن يعطّل نفاد التبغ طقس الكتابة؛ كونه طقسًا من الطّقوس عند البعض ولا يمكن التركيز في غيابه»[67]أما المشروبات الكحولية فكان يراها نيتشه مُضرة بالنّسبة له؛ يكفيه كأس واحد من النّبيذ أو البيرة في اليوم كيما تتحول الحياة لديه إلى "وادي دموع"، يقول «كي أعتقد أن الخمر يبعث الانشراح فلا بد لي أن أكون مسيحيًا؛ أعني بذلك أن أكون مؤمنًا، وهو أمر يعد بالنّسبة لي أنا بالذات عبثًا»[68]. فالخمر عنده؛ تترك الرّوح فاترة وكأنها تناولت مخدرًا، كلها رغبة في النوم[69] ليكتب في شذرة بعنوان: «شارب الماء يتحدث»، موجها الخطاب ربما لمن دعاه للشرب، «استمر أنت إذن في شرب خمرك التي أبهجتك طوال حياتك، - فماذا يهمك أن أكون شاربًا للماء بكثرة؟ أليس الخمر والماء عنصرين مسالمين وديين يتعايشان دون لوم؟»[70]، ومع أنهما متعايشان فـ «من الأفضل الاستغناء عنها والاقتصار على الماء، وتحويل هذا الماء دوما، بتلقائية، بواسطة شعلة باطنية، بواسطة الرّقة الباطنية للروح، إلى خمر»[71]، لذا فكأس واحدة صغيرة من الخمر كانت تزعجه كأنها كلب، فعقل ينساب فوق المياه وحدها، وهاته النقطة كانت تجعله حقيقتها على خلاف مع كل الناس الذين يدعونه للشرب.

صحة العليل وآلامه المعدية ربما لم تقوى على نسبة الكحول التي في الخمر، فنسبة الكحول يجب أن تكون موجودة فقط في المؤلفات فقط، خاصة دورها في الاشتعال[72] لا في التدويخ وإفتار القوى، بل إنه يرى أن جزءا من مساوئ العقل الألماني إنما أتته من الشّرب بعد الأكل، وذلك كله رغم أن ديونيزوس إلهه المفضل، هو إله الكروم والخمور، إنه رفض لأحد النّعم

67- سامر إسماعيل، صورة المثقف العربي والتدخين.. نصوص النّيكوتين! من سجائر إمبريالية وأخرى اشتراكية إلى الطّقس والأبخرة، ضمن **مجلة الفيصل**، يناير 28، 2018.

68- فريديرك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ص. 40.

69-**إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 154، "موسيقى "مرحة""، ج. 2، ص. 164.

70- فريديرك نيتشه، **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 347، "شارب الماء يتحدث"، ج. 2، ص. 103.

71- المصدر نفسه، الشّذرة: 109، "الحياة دون فن كالحياة دون خمر"، ج. 2، ص. 38.

72- يكتب نيتشه في الشّذرة: 101، المعنونة ب، «مؤلفون كالكحول»: «كثير هم الكتاب الذين ليسوا لا عقلا ولا خمرا، بل كحولا: قد يلتهبون، وحينها يمنحون بعض الدّفء.» **إنسان مفرط في إنسانيته**، ج. 2، ص. 151 .

الدّينوزوسية، ويا للأسف، لقد ودّ أن يحتفظ لنفسه بالصّحو اللازم مع اللّطافة الممكنة اللتين هما الامتياز الأرستقراطي للأثيني، رغم ألا أحد «وضع في خمرة من الماء أكثر مما وضعه الإغريق!»[73]. إن الخمر تذكره بفعل ودور المسيحية وهي التدويخ ونسيان العالم، لهذا يقرن الكحول كأحد أهم الأشياء التي تقتبسها العشائر المتخلفة من أوربا قبل كل شيء مع المسيحية، ليَعدّهما تحت خانة: المخدرات الأوربية. مؤكدا أن سبب هلاك تلك العشائر المسكينة بأسرع ما يمكن؟ إنما بالمخدرات الأوروبية[74] التي منها الكحول والتي يصفها نيتشه بالسّم الأوربي[75] الذي سمّم أوربا[76]، وإيمان نيتشه بالخمر إنما يمكن أن يكون في حالة واحدة هي أن يكون مسيحيا «لم أدرك ذلك إلا لاحقا رغم كوني قد جربته في طفولتي. فقد اعتقدت وأنا بعد طفل صغير بأن شرب الخمر يعتبر، مثل التدخين، مما يتباهى به الشّباب؛ ولكنني أدركت فيما بعد أن ذلك عادة سيئة. ربما يكون لخمر نورمبرغ دور في هاته الصّلابة. **فلكي أومن بأن الخمر ترفه عن النفس يجب أن أكون مسيحيا**،»[77]، قبل عثوره واستقراره على هذا الرّأي فقد كان نيتشه شرابا للخمر ويجده مناسبا له «أدخل في عالم من الحزن كلما تناولت كمية صغيرة من الخمر الممزوجة بالماء، أما عند وجود كمية كبيرة فأشعر كمن له تجربة كبيرة في شرب الخمر. لقد كنت أشربها بشجاعة حتى وأنا طفل صغير. وكثيرا ما كنت أشرب كميات كبيرة من شراب الماء السّاخن والحامض، حين كنت تلميذا في مدرسة بْفورتا، فأحرر مقالتي باللاتينية وأنقلها في ليلة واحدة مجتهدا في جعلها بقوة وتماسك مقالات ساليست الذي أقتدي به ؛ كان ذلك مناسبا أكثر من غيره لبنيتي كتلميذ، ولكنه لم يكن يناسب بنية ساليست بتاتا، وإن كانت المدرسة تعارض تلك الممارسات.»[78].

علي سبيل الختم:

«إن يفكر من خلال عملية الهضم»

نيتشه

وهو يوزع اتهاماته للقساوسة والميتافزيقيين ممن ألفوا استعمال لغة تتسم بالنّفاق والخداع وازدراء للأشياء اللّصيقة بالحياة، إن لم تكن هي الحياة، من مثل قولهم أن الهدف

73- **إنسان مفرط في إنسانيته**، الشّذرة: 336. "صوفو كلية"، ج. 2، ص. 216.

74- **العلم المرح**، الشّذرة: 147، "سؤال وجواب"، ص. 141.

75- فريديرك نيتشه، **العلم المرح**، الشّذرة: 42، **"**عمل وملل"، ص. ص. 78. 79.

76- المصدر نفسه، الشّذرة: 134، "المتشائمون باعتبارهم ضحايا"، ص. 136 .

77- فريديرك نيتشه، **هذا الإنسان**، ترجمة محمّد النّاجي، **ص.** 22.

78- فريديرك نيتشه، **هذا الإنسان**، ترجمة محمّد النّاجي،ص. 22.

الحقيقي من وراء كل شهوة، إنما هو الإنجاب، يعرّج على قولة بعضهم من أننا في الحقيقة أنما «نأكل لنعيش»، ليصفها نيتشه بأنها «كذبة لعينة»، إذ الأشياء المهمة فوق الاستعمال المنافق للغة، وكأن الأكل بالنّسبة لنيتشه يجب أن يكون لذاته لا وسيلة لغاية أخرى تقلل من شأنه، ويجب أن يحظى، كما عنده، بالتقدير الكبير، تماما كما أي شيء من «الأشياء المهمة» في حياة يريدها صاحبها أن تكون مهمة.